



الأخضر الإبراهيمي لم يكن متشاريما بكل هذا القدر منذ تكليفه بهذه المهمة، التي غدت بمثابة عقدة لا يستطيع حلها حتى ألف حلال، ونائب الأمين العام للجامعة العربية أحمد بن حلي، الذي يعرف عنه أنه بطبيعة متفائل، قال كلاما يعني أنه لا يرى أي بصيص ضوء في نهاية النفق المظلم وكذلك فإن العرب، باستثناء النظام السوري الذي يراهن ليس على قوته وإمكانياته وإنما على موسكو وطهران وعلى ميوعة المواقف الغربية.

لا يتوقعون أن يصدق «المنجمون» هذه المرة وأن ينعقد جنيف الثاني ولو من أجل الانعقاد فقط وحتى إن لم يتحقق ولو خطوة متقدمة واحدة في اتجاه حل هذه الأزمة المستعصية التي مع طول الوقت غدت أزمة إقليمية ودولية!!

ولكن رغم كل هذا ومع ذلك فإن لاعبي لعبة الأمم الجديدة، أي الروس والأميركيين ومن لف لهم ويحيط بمسلتهم، منهمكون في الإعداد ليوم 22 من يناير (كانون الثاني) المقبل، وكأنه لا وجود لكل هذه العقبات الكأداء التي تقف في طريق انعقاد «جنيف 2».

وكان سوريا لم تصبح ساحة للصراعات الدولية والإقليمية، وكان هذا البلد بمعظم مدنه وقراه لم يتحول إلى أكواخ من الأتربة والحجارة، وكان أعداد القتلى لم تصل إلى 126 ألفا، وكان أعداد اللاجئين إلى الدول المجاورة والبعيدة لم تصل إلى الملايين، وكان هذا النظام الدموي لا يواصل حربه الطاحنة ضد شعب لم يتعرض لمثل ما تعرض وما يتعرض له أي شعب آخر في العالم بأسره.

في تصريحاته الأخيرة توقع الأخضر الإبراهيمي أن تتحول سوريا، كالصومال، إلى دولة فاشلة وهو كمن ألقى حجرا في بركة آسنة راكدة قد تحدث عن «جمهورية سوريا جديدة» وكل هذا في حين أن أحمد بن حلي، ورغم تأكيده أن جنيف السويسرية ستستضيف في 20 من ديسمبر (كانون الأول) الحالي اجتماعا على مستوى كبار المسؤولين من الولايات المتحدة وروسيا والأمم المتحدة يعقبه اجتماع موسع للدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي ودول الجوار السوري

بمشاركة الجامعة العربية لبحث انعقاد «جنيف2» في موعده المقترن في 22 من يناير المقبل.

إلا أنه أعرب عن تشاؤمه من إمكانية عقد هذا المؤتمر في هذا الموعد، وقال: «لست متفائلاً بأن يكون هذا التاريخ موعداً لهذا الاجتماع؛ وذلك لأن هناك ترتيبات ما زالت جارية من جانب المعارضة السورية للمشاركة فيه».

والمستغرب أن يتفق هذا المسؤول العربي مع كل الذين أغاروا ضمائرهم وبديل أن يحملوا نظاماً دموياً قتل من شعب، من المفترض أنه شعبه، كل هذه الأعداد المرعية، مسؤولية تعثر كل محاولات حل هذه الأزمة التي غدت مستعصية، ويحملونها للمعارضة التي تكونت في ظروف في غاية الصعوبة وبقيت تعمل في ظروف في غاية الصعوبة والتي تخلي عنها الغرب الذي أشبعها مراجل فارغة في البدايات وتخلي عنها وعن شعبها في المراحل اللاحقة.

إن هناك الائتلاف الوطني الذي اعترف به العالم بمعظم «ممثلاً شرعياً للشعب السوري» والذي يضم الجيش الحر، والمجلس الوطني، ومعظم قوى المعارضة المعتدلة و«المعقوله»، والمعروف أن هذا الائتلاف قد اشترط، ومعه كل الحق، على ضرورة حسم قضيائياً رئيسة من غير الممكن الذهاب إلى «جنيف2» من دون حسمها، وفي مقدمتها أنه لا مكان لهذا الرئيس السوري بشار الأسد لا في المرحلة الانتقالية ولا في مستقبل سوريا.

وأن الحكومة أو الهيئة التي يجب تشكيلها لإدارة الأمور في هذه المرحلة الانتقالية يجب أن تكون كاملة الصالحيات بما فيها الصالحيات الأمنية والعسكرية، وأنه لا يمكن القبول بحكومة تكون بمثابة تعديل وزاري على حكومة النظام الذي يجب أن يدفع ثمن كل ما ارتكبه من جرائم أكدتها تقارير واحدة من أهم الهيئات الدولية المعنية.

فهل تريد الجامعة العربية، مثلها مثل الروس، أن تذهب المعارضة السورية، الائتلاف الوطني والجيش الحر تحديداً، إلى هذا المؤتمر مستسلمة ورافعة الأيدي؟

وهل تقبل الجامعة العربية أن تشارك إيران التي تغوص في دماء أبناء الشعب السوري حتى الركب من دون أن تسحب قواتها وميليشياتها المذهبية والطائفية من سوريا؟

هل الجامعة العربية يا ترى قد تخلت عن مواقفها السابقة، وتخلت عن عدم اعترافها بهذا النظام، وباتت تصب جام غضبها، مثلها مثل آخرين كثُر، على الضحية وتغضن النظر عن الجلاد، الذي لا يزال يقتل ويذمر ويشرد السوريين يومياً، رغم أن المفترض أن «جنيف2» أصبح على الأبواب؟!

قبل أيام صدر بيان إيراني - تركي وقعه محمد جواد ظريف وأحمد داود أوغلو يطالب بوقف لإطلاق النار في سوريا وكل هذا و«الحقيقة» تركيا تعرف تمام المعرفة بحكم عوامل كثيرة أن الذي يطلق النار في هذا البلد، الذي تحول إلى أكواخ من الركام وإلى عشرات الآلاف من المقابر الجماعية المجهولة، هم حراس الثورة الإيرانية، وفي مقدمتهم فيلق القدس السيئ الصيت والسمعة، ومع هؤلاء بالطبع ميليشيات حزب الله والميليشيات الطائفية العراقية، وبالتالي فإنه كان على وزير الخارجية التركي أن يطالب مضيئه ويطالب نظيره الإيراني بسحب هذه القوات الغربية من الأرضي السورية..

وبعد ذلك لكل حدث حديث وعندها بالإمكان مطالبة المعارضة ونظام بشار الأسد بوقف فعلي لإطلاق النار وبإشراف دولي قبل 22 من يناير المقبل.

ثم وحتى نرى كل هذا الذي نراه ونسمع كل هذا الذي نسمعه فهل هناك يا ترى شيء يجري وراء الكواليس؟ وهل الشعب السوري والمعارضة السورية وربما أيضاً نظام بشار الأسد سيفاجأون باتفاق تدمير الأسلحة الكيمائية، الذي أبرمه الروس والأميركيون دون علم أي من أصحاب هذه القضية ومن وراء ظهور هؤلاء جميعهم؟ وهل سيفاجؤون أيضاً باتفاق كاتفاق «النووي» الإيراني، الذي فاجأ هذه المنطقة وأهلها، والذي لا تزال تدور حوله شبكات

كثيرة، رغم كل الإيضاحات التي نقلها محمد جواد ظريف إلى بعض دول الخليج العربي، ورغم كل التطمئنات التي أبلغها جون كيري لهذه الدول التي أبدت مخاوف محققة من أن هذا الاتفاق قد يخفى لعبة دولية جديدة قدرة؟!

إنه لا يمكن أن يتحقق «جنيف2»، هذا إنْ هو انعقد في موعده في 22 من يناير المقبل أو في أي موعد آخر أبعد، أي نجاح وأن يجترح أي حل فعلي لهذه الأزمة المتفاقمة ما لم يجرِ الاتفاق مسبقاً، وبين الروس والأميركيين بالأساس، على أنه لا بد من قيام جمهورية «سوريا جديدة»، كما قال الأخضر الإبراهيمي، وعلى أنه لا مكان لا لبشار الأسد ولا لنظامه في هذه الجمهورية، وأيضاً على أنه لا يجوز ألا يحاسب المجتمع الدولي من خلال هيئاته المعنية هذا النظام على كل الجرائم التي ارتكبها وعلى كل هذا الخراب الذي حل بسوريا..

أما بغير هذا فإن الأمور ستذهب إلى تعقيدات جديدة ستكون أخطر كثيراً وأصعب من هذه التعقيدات الحالية، وإن هذا البلد سيصبح دولة فاشلة، كما قال الإبراهيمي، وسيتحول إلى حالة أشد خطراً على الدول المجاورة والمتاخمة وعلى العالم بأسره من الحالة الصومالية.

إنه من غير الممكن معالجة هذه الأزمة السورية بكل خطورتها وكل تعقيداتها على أساس الحلول المفروضة؛ فهناك أنهار من الدماء سالت وهي لا تزال تسيل، وهناك بلد يات ممزقاً ومحطماً ومدمراً، وهناك ثغرات طائفية غدت تهدد هذا البلد بالانقسام والتتشظي ثم وإن المشكلة، التي تحمل مسؤوليتها أولاً روسياً بوتين ولافروف، وثانياً أميركا وإدارة أوباما التي تعاني من ضعف حقيقي وفعلي غير مسبوق، هي أن سورياً أصبحت ساحة صراع إقليمي ودولي وأنها قد تصبح بؤرة إرهاب منفلت من عقاله، كما هو عليه الوضع في العراق وفي أفغانستان وأيضاً في اليمن وليبيا، إذا لم يحصل «جنيف2» المرتقب، هذا إنْ هو انعقد وأغلب الظن أنه لن ينعقد.

أولاً وقبل أي شيء آخر مسألة قيام جمهورية «سوريا جديدة» على أنقاض هذا النظام الذي في حقيقة الأمر لم يعد قائماً وأنه يجب ألا يكون لبشار الأسد أي دور لا في المرحلة الانتقالية التي يجري الحديث عنها ولا في مستقبل بلد يقي حكوماً بالحديد والنار لأكثر من 40 عاماً من قبل هذه العائلة وحلفائها من الأعمام والأخوال.. ومن المؤلفة قلوبهم من غير أبناء الطائفة العلوية.

الشرق الأوسط

المصادر: